المحاضرة الثامنة: الثنائية التاريخية والثنائية المعجمية

1. الثنائية التاريخية:

ذهب الكثير من علماء اللغة القدامى و حتى المحدثين إلى مذهب الثنائيات، و أنّ أصول اللغة العربية هي ثنائيات. "ولكي يصح القول بالثنائية التاريخية في نشأة اللغة، كان ينبغي لهذه الثنائية أن تلازم وحدة المقطع المؤلف من صوتين بسيطين فقط". [1] لكن اللغة العربية ليست ثنائيات بل أبنية رباعية و ما زيد عن ذلك، ولهذا تفسير ورد في مختلف التأليفات يوضح ذلك اللغويّ صبحي الصالح: "ولكننا في الاستشهاد على هذه الظاهرة أوردنا الكثير من المواد الثلاثية، ونقلنا عن القائلين بها بعض المواد الرباعية، فهل من رابط منطقي لا ينفك يلمح بين تلك الصيغ المزيدة وبين أصولها الثنائية في نشأتها الأولى؟ .[2]

ورد عن الاستشهاد صيغ تُثبت أنّ الثنائية تفرعت إلى ثلاثية، و أزيد من ذلك أنّ " نشوء أول الكلمة وصَور انتقالها من حالة إلى حالة أخرى، حتى لم يبق لنا شكٌ في هذا التحوّل العجيب؛ أي انتقال الكلمة المحاكية للصوت إلى المضاعف الثلاثي والرباعي، ومما يؤيد كلام الأقدمين" [3] يؤكد الشيخ إبراهيم اليازجي: "إن الثنائي موضوع في الأصل على حرفين، والتشديد في الثاني طارئٌ من قِبل الصناعة ... فإنك إذا تفقَّت هذه الأفعال في العبرانية والسريانية وجدتها فيهما مخففة ساكنة الأواخر، جريًا على الحكاية الأصلية؛ لأنّ الذي سمع قرع جسم بآخر مثلا سمع شيئًا يحاكي "د ق" بالإسكان، فحكاه بصورته مخففًا، ثم لما احتاجوا إلى تحريك الثاني في بعض الصور التصريفية، كرهوا أن يوالوا بين متحركين لا فاصل بينهما، فوسَّطوا بينهما ساكنًا، إما من جنس ذلك المتحرك، فقالوا":دَقُّوْ " مثلا بالتشديد، وهو اختيار العبرانيين، وعليه جرت العرب، أو حرف مدٍّ من جنس حركة الأوّل، فقالوا : "داقُّون " أي " دَقُّوا" أيضا، وهو اختبار السريان.[4]

من طريف ما لاحظه أن "المضاعف العربي الذي يقال: إنه مركب من ثلاثة أحرف أصلية لا تجد مقابلة في السريانية إلّا بحرفين اثنين لا أكثر. مثلًا مقابل مَصَّ = مَصْ، وبحذاء حَمَّ = حَمْ، وبإزاء مَسَّ

---

[1] - صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1379 هـ- 1960 م، ص153

[2]- المرجع نفسه، ص153.

[3]- أنستاس ماري الكرمل، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، مؤسسة هنداوي، د.ط ، المملكة المتحدة 2017،ص26

[4]- المرجع نفسه، ص26.

= مَسْ، وهكذا كل المضاعفات التي هي بالحقيقة ثنائيات، والثنائي وارد في كل الساميات، متصفًا بمعنى حقيقي وتام[5].

ومن الثنائيات ما ورد في كتب القدماء تعدّ "من البراهين الحسية التي أوردها على سلامة هذه النظرة ما ضاعه العلماء من الأفعال المضاعفة والمكررة مستخرجين عناصره الأولية من أسماء الأصوات، ودعاء الحيوانات، وزجرها، وبعض أسماء الأفعال، فهي جميعًا ثنائية.[6]

أهمها : فمثلًا أف: كلمة تكرُّه، بخ :لاستعظام الشيء: صع : اسم صوت يزجر به الجمل عند ترويضه صه : أمر بالسكوت، مه :أمر بالكف. فمن هذه الثنائيات صيغت أفعالٌ، إما بتحريك الساكن وتشديده، وإما بتكرار الثنائي ذاته وتحريك الآخر فقيل :أُفَّ، بَخَّ، صَعَّ، صَهْصَهَ، مَهْمَهَ.[7]

أن كلّ ثنائي ضُعِفَ أو كررت حروفه أعطى أفعالٍ ثلاثية، و رباعية. أكده الباحثون "الذي يتقرّى كلم العربية بإمعان نظر، يجد أن لمعظم موادها أصلًا يرجع إليه كثير من كلماته إن لم نقل كلها، خذ على ذلك مثلًا مادة "فل" وما يثلثها، تجد الجميع يدور حول معنى الشق والفتح، مثل: فلح، فلج، فلع، فلق، فلد، فلى، ومثل ذلك مادة "قط" وما يثلثها، تقول: قطَّ، قطع، قطر، قطف، قطن، وكلها بمعنى الانفصال.[8]

2. **الثنائية المعجمية**

هناك العديدُ من صناع المعاجم الذين تتَبَّعوا استخدموا الثُّنائيَّةَ في تأليفاتهم، هذا لطبيعة المعجم و احتوائه على جميع مفردات اللغة بدءا من أصل نشأتها الثنائية التي تعَدُّ مصدر التأليف للصيغ الأخرى فتُسَمَّيت "ثُنائيَّةً مُعجَميَّةً"، لأن الكثيرَ من الكتُبِ بدأت بالأصولِ الثُّنائيَّةِ التي زِيدَ عليها صوتٌ أو أكثَرُ، فأصبحت ثلاثيَّةً ورُباعيَّةً، إذ وجدوا في زيادة صَّوتيَّةِ معاني جديدة و رصيدا وفيرا من مفردات ذات معاني تفيد اللغة، وقد تكون في الغالِبِ محتَفِظةً بجوهَرِ المعاني القديمِة الأصليّة وفي هذا يقول : " مِمَّن قال بها ولم يَحُدْ عنها قِيدَ شَعْرةٍ: الأصبَهانيُّ صاحِبُ كِتابِ غَريبِ القُرآنِ؛ فإنَّه بنى مُعجَمَه على اعتِبارِ المُضاعَفِ هِجاءً واحِدًا، ولم يُبالِ بتَكرارِ حَرفِه الأخيرِ، فهو عِندَه مِن وَضعِ الخيالِ، لا من وَضْعِ العِلمِ والتَّحقيقِ، أي: إنَّه إذا أرادَ ذِكرَ "مَدَّ يَمُدُّ مَدًّا" مَثَلًا في

---

[5]- كلمة الثنائية ألقاها في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص٨.نقلا صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة ص

[6]- صبحي إبراهيم الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص155

[7]- المرجع نفسه، ص155

[8]- طه الراوي، وقارن بأصول النحو، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق 13/ 220- 125 ج1

سِفْرِه، ذَكَرها كأنَّها مُرَكَّبةٌ من مادَّةِ "مَدَّ" أي: ميم، ودال ساكِنة، ولا يَلتَفِتُ أبَدًا إلى أنَّها من ثَلاثةِ أحرُفٍ، أي: "م د د"، كما يَفعَلُ سائِرُ اللُّغَويّينَ؛ ولهذا السَّبَبِ عَينِه يَذكُرُ "مَدَّ" قَبلَ "مَدحَ" مَثَلًا، ولا يُقَدِّمُ هذه على تلك، على ما نُشاهدُه في مُعظَمِ مَعاجِمِ اللُّغةِ؛ كالقاموسِ، ولسانِ العَربِ، وأساسِ البَلاغةِ، وتاجِ العَروسِ، وغَيرِها . " [9]

عن ابن دريد: قال "الثنائي الصحيح لا يكون حرفين البتة إلّا والثاني ثقيل "أي: مضعف"، حتى يصير على ثلاثة أحرف؛ اللفظ ثنائي والمعنى ثلاثي، وإنما سُمِّيَ "ثنائيًّا" للفظه وصورته، فإذا صرت إلى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة، والثاني حرفين مثلين أحدهما مدغم في الآخر، نحو: "بَتَّ يبت بتًّا" في معنى قطع، وكان أصله "بتت"، فأدغموا التاء في التاء فقالوا: بتَّ، وأصل وزن الكلمة فعل، وهو ثلاثة أحرف،فلما مازجها الإدغام رجعت إلى حرفين في اللفظ، قالوا: بَتَّ، فأدغمت إحدى التائين من الحروف المعجمة".[10]

[9]- أ نستاس ماري الكرمل، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، مؤسسة هنداوي، د-ط ، المملكة المتحدة 2017،ص15

[10]- جمهرة اللغة 1/ 13 "باب الثنائي الصحيح."